منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (4881) السنة الثامنة عشرة - الاربعاء (24) شباط 2021

www.almadasupplements.com

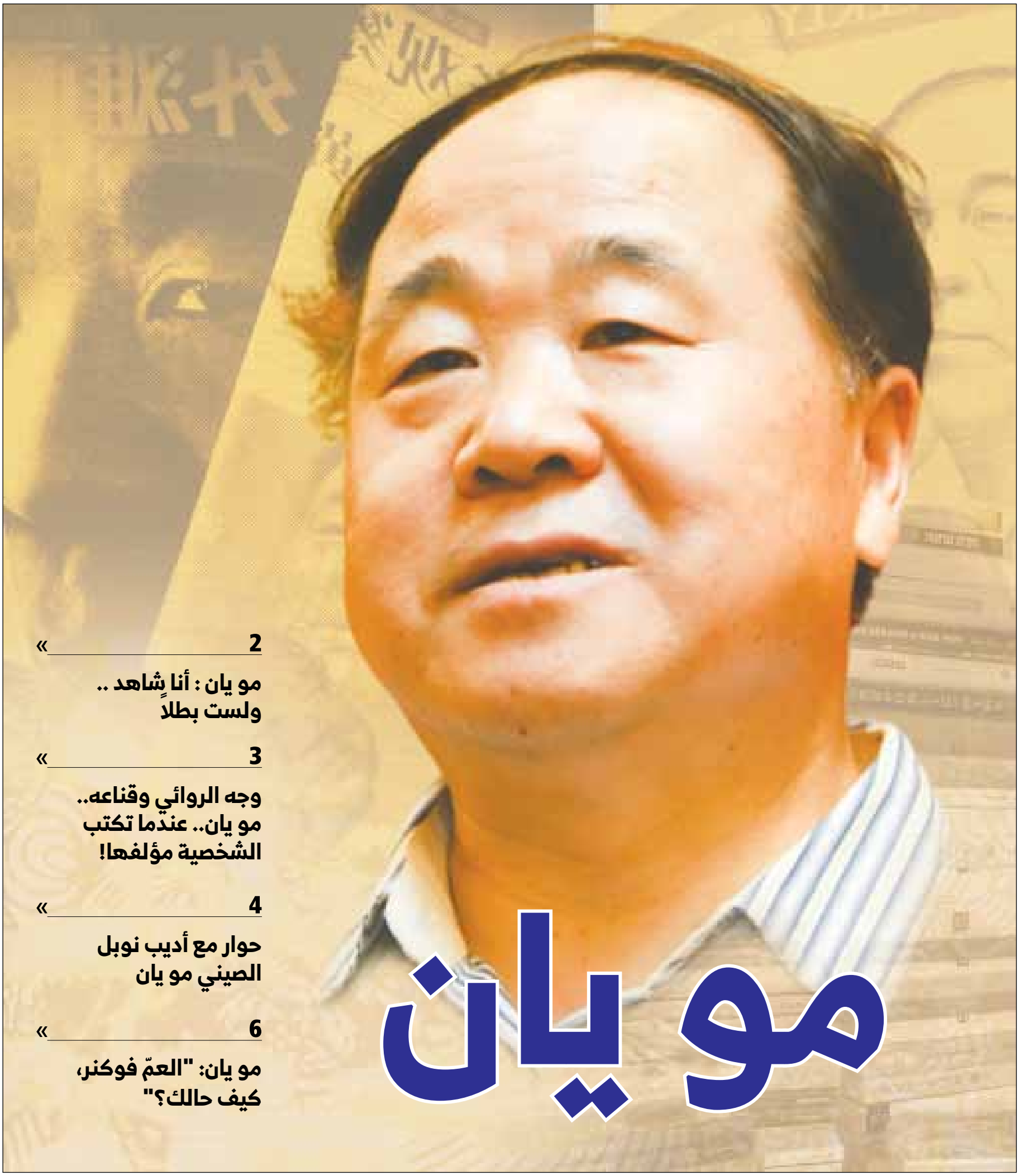

مو يان

2 «
مو يان : أنا شاهد .. ولست بطلاً

3 «
وجه الروائي وقناعه.. مو يان.. عندما تكتب الشخصية مؤلفها!

4 «
حوار مع أديب نوبل الصيني مو يان

6 «
مو يان: "العمّ فوكنر، كيف حالك؟"

مو يان : أنا شاهد .. ولست بطلاً

علي حسين

عندما منحت الأكاديمية السويدية، جائزة نوبل للأداب عام ٢٠١٢ للروائي الصيني " مو يان " ، تساءل القراء العرب وانا منهم من يكون هذا الرجل البدين الذي انتشرت صورته فجأة في مواقع التواصل الاجتماعي ، واحتلت مكانا بارزا في وسائل الاعلام ؟ ، في الوقت نفسه اثار فوزه بالجائزة الجدل ، فالكاتب القريب من الحزب الشيوعي ، وجد سلمان رشدي في قرار منحه الجائزة خطأ لا يغتفر ، ساخرا من منح نوبل لكاتب اسمه " لا تقل شيئاً " ، وقد رد مو يان وهو يبتسم أن اسمه جاء بسبب تحذير من والده وولادته بان لا يتحدث عما يراه خارج البيت ..فيما وصفت الحائزة على نوبل الرومانية هيرتا مولر فوز مو يان بالكارثة، واتهمت مولر الكاتب الصيني بانه يحتفي بالرقابة ويوافق عليها . الامر الذي دفع مو يان للقول إن تجنب الرقابة كان مسألة دهاء ، وهو يرى ان الرقابة تساعد الكاتب على أن يضخ خياله لعزله عن العالم الحقيقي وانها ستتحول في النهاية الى اداة لخلق الأدب الجيد .

كان " مو يان " اول اديب صيني يعيش في الصين يحصل على جائزة نوبل ، يوم نال الجازة كان في السابعة والخمسين من عمره ، وصفته الاكاديمية السويدية بانه يملك أسلوبا مميزا وأنه استلهم أفكاره من الخلفية الخاصة به. وان الجائزة منحت له لقدرته على المزج بين الحكي الشعبي والتاريخ والمعاصرة بشكل واقعي. وقال رئيس اللجنة أن مو يان يكتب بلغة مدهشة للغاية : " بإمكانك الاطلاع على نصف صفحة من كتاباته لكي تعلم، أنه يكتب بوحي من خلفيته الخاصة . إننا أمام تأليف فريد من نوعه يمنحنا نظرة فريدة على محيط فريد " . قال مو يان انه لم يفكر مجرد تفكير بجائزة نوبل ، وان ما حدث اشبه بالمعجزة ، لكنه في النهاية اثبت ان الادب الحقيقي يحظى بالاهتمام : "أعتقد أن الكتاب يكتبون بوازع من ضمائرهم، يكتبون لقرائهم الحقيقيين...لأرواحهم."

لم أكن قد قرأت من قبل رواية من روايات "مو يان " ، فعلاقتي بالادب الصيني تنحصر في قراءات بسيطة من هنا وهناك ، البعض منها يتعلق بالفلسفة الصينية ، وكان اشهرها كتاب " حكمة الصين " الذي كتبه المصري فؤاد محمد شبل وصدر ضمن سلسلة المكتبة الفلسفية ، وكتاب عن كونفوشيوس للدكتور حسن شحاته ، وكتاب آخر اتذكرة بعنوان " الفكر الصيني من كونفوشيوس الى ماوتسي تونغ " وترجمه عبد الغفار مكاوي للفيلسوف الصيني لاو تسي بعنوان " طريق الفضيلة " بعد ذلك سأقرأ ترجمة جديدة لفكر لاو تسي قام بها هادي العلوي .... طبعا مع الاعجاب بالثورة الصينية والتمتع بكتاب البرتو مورافيا " ثورة ماو الثقافية " – ترجمه الى العربية وحيد النقاش – ، وكان كتاب " النجم الاحمر فوق الصين " للصحفي الامريكي " ادغار سنو " – ترجمه للعربية كمال أبو الحسن – اشبه ببيان ثوري تلاقفته الايدي المتحمسة آنذاك للثورة الصينية ، اضف إلى كل ذلك مختارات ماوتسي تونغ التي كانت باجزاء متفرقة وديوان شعر من تاليف ماو نفسه .. وقد غاب عن اهتمامي الادب الصيني الى ان حصل الروائي غاو شينغجيان على نوبل للاداب عام ٢٠٠٠ ، وقد قيل آنذاك ان الجائزة منحت له بسبب معارضته للنظام الصيني ، لكن ما ان قرأت عمله الكبير " جبل الروح " – ترجمه الى العربية بسام حجار – ايقنت ان الجائزة اقل استحقاق لهذا الروائي العظيم .

عندما منح " غاو شينغجيان " جائزة نوبل اشادت الاكاديمية السويدية بروايته الملحمية " جبل الروح " والتي كتبها بعدما اخطأ الاطباء بتشخيص مرضه فاخبروه انه مصاب بسرطان الرئة ، في ذلك الوقت كان يتلقى تحذيرات من السلطات الصينية بسبب ارائه المضادة للنظام ، فاضطر ان يترك الصين . في " جبل الروح " يتناول اقترابه من الموت وتمسكه بالفردية. ترك بلاده الى فرنسا بعد مجزرة ساحة تيانمين ، وأصدر رواية " الهرب " التي تدور خلال المجزرة التي داست فيها الدبابات المتظاهرين. رفض سياسة بلاده لكنه رفض اعتبار ضحايا الساحة ابطال كما روج الاعلام الغربي . قال أن على الادب ان يتجنب الخوض في السياسة ويسعى لتقديم المشاعر الانسانية.

يرى شينغجيان إن العلاقة بين المؤلف والقارئ دائماً هي علاقة تواصل روحي، ولا لزوم للقائهما أو تفاعلهما اجتماعياً: " إنه مجرد تواصل من خلال العمل، ويبقى الأدب شكلاً لا غنى عنه من النشاط الإنساني يخوض فيه كل من القارئ والكاتب بإرادتهما، وهكذا فليس للأدب أي واجب تجاه الجماهير " .

عام ١٩٣٨ عندما فازت الامريكية " بيرل باك " بجائزة نوبل للاداب قالت الاكاديمية السويدية في بيانها انها منحت بيرل بارك الجائزة : " لأوصافها الثرية والملحمية لحياة الفلاحين في الصين " ، وكانت بيرل تعتبر نفسها صينية اكثر مما هي امريكية ، فقد عاشت طفولتها وشبابها في الصين التي دفن فيها والداها وهي تقول : " عندما اكتب عن الصين ، فان القصة تدور في راسي بالصينية ثم ترجمها الى الانكليزية " .

نهاية عام ٢٠٠٢ ساحصل على نسخة مصورة من رواية " بجعات برية " للكاتبة الصينية " يونغ تشانغ " وقد ترجمها الراحل عبد الاله النعيمي ، والرواية سيرة لثلاثة اجيال من عائلة تشانغ تقدم من خلالها صورة للحياة في الصين منذ بدايات القرن الماضي، وحتى عام ١٩٧٨ ، وهو العام الذي غادرت فيه تشانغ بلادها لتستقر في لندن ، كانت تشانغ المولودة عام ١٩٥٢ عضوا في الحرس الاحمر في شبابها ، ثم عملت في احدى المزارع الجماعية ، بعدها تنقلت في عدة مهن ، ممرضة وعاملة كهرباء، ومنظفة في مصنع للفولاذ. التحقت بالجامعة لدراسة اللغة الانكليزية ، وفي عام ١٩٧٨ حصلت على منحة لدراسة اللغة في بريطانيا، بعدها قررت ان تتحدث عن السجن الذي عاشت فيه طفولتها وشبابها ، حصلت على دكتوراه في الالسنيات . عام ١٩٩١ تصدر بالانكليزية روايتها " بجعات برية " التي ترجمت الى اكثر من ٣٠ لغة ، لكنها منعت في الصين .

في السنوات الاخيرة ترجمت الكثير من الاعمال الادبية الصينية ، وكان من ابرزها رواية الكاتبة " وي هوي " شنغهاي بيبي او " طفلة شنغهاي " – ترجمتها الى العربية ظبية خميس – وهي الرواية التي اثارت حفيظة السلطات الصينية فاحرقت ٤٠ ألف نسخة منها ، بعد ان اتهمتها الرقابة بأنها رواية وضيعة ، تسعى لتلطيخ سمعة الصين .. وفي سيرة حياة الروائية " وي هوي " نعرف انها من مواليد ١٩٧٣ ابنة ضابط بالجيش ، درست الأدب في شنغهاي ، تعد روايتها " طفولة شنغهاي " سيرة ذاتية لتحولاتها النفسية والاجتماعية ، قالت انها نشأت في عائلة محافظة للغاية. وقضت دراستها الجامعية في التريب العسكري .. وما حدث معها بعد ذلك تقول انه طبيعي ، لاي فتاة تعيش في مجتمع مغلق فتقرر ان تتمرد "هذا التمرد هو ما كتبت عنه " . تؤمن ان هناك هوة شاسعة بين جيلها والاجيال التي سبقته : " كنت أبحث عن صوت يمثل جيلي " .

وترجمت ايضا رواية " وانغ شياوبو " ، الذي يطلق عليه لقب كافكا الصين "العصر الذهبي" – ترجمها الى العربية – أحمد السعيد – ، وشياوبو الذي رحل عن عالمنا عام ١٩٩٧، يعد الروائي الأكثر قراءة في الصين .. ومثل رواية " البجعات البرية " يتناول شياوبو حياة بطله من خلال ربطها بتاريخ الصين الحديث . ولد " وانغ شياوبو " في بكين عام ١٩٥٢، وهو العام نفسه الذي اتهم فيه والده االشيوعي بتهمة "الطبقية ومعاداة الاشتراكية" ، فتغيرت أحوال الاسرة ، لكن بعد خمس سنوات سيلتقي الوالد بالزعيم الصيني ماوتسي تونغ ، الذي يصدر امرا بالعفو عنه ، عندما كان شياوبو في المرحلة الثانوية، اندلعت "الثورة الثقافية" ، وكلف بالعمل في فيلق الجيش الصيني في مقاطعة يونان الحدودية، وهو مسرح أحداث معظم أعماله الأدبية، ومنها "العصر الذهبي" ، "في عام ١٩٧١، انتقل للعمل مدرساً في مدارس محو الأمية، وبانتهاء الثورة الثقافية التحق بجامعة "الشعب الصينية" وهو في السادسة والعشرين. درس الإدارة حتى عام ١٩٨٤، ثم التحق بمركز الدراسات والبحوث الآسيوية، وحصل على درجة الماجستير، سافر الى امريكا ثم عاد ، إلى الصين، ليعمل مدرساً في جامعة "الشعب" ، ثم في جامعة بكين، استقال من العمل الأكاديمي في عيد ميلاده الأربعين، وتفرغ للكتابة. لكن المرض لم يمهله طويلا حيث تعرض الى انتكاسة صحية ليفارق الحياة في الحادي عشر من نيسان عام ١٩٩٧.

بعد ذلك سيحصل تحسن في ترجمة الادب الصيني حيث بدأنا نقرأ اعمال " سوتونغ " وروايات " يوهوا " الذي ترجمت له العديد من الاعمال ابرزها " اليوم السابع " و " مذكرات بائع الدماء " و " على قيد الحياة " وروايته الشهيرة " نهر الزمن " ويعد " يوهوا " من الوجوه البارزة في الادب الصيني الحديث ، عمل طبيبا للاسنان ، لكن هواية الادب جعلته يتخلى عن مهنة الطب ليعمل موظفا في هيئة قصور الثقافة . قال انه لم يجد نفسه في مهنة الطب ، ولكونه يمتلك موهبة ادبية قرر ان يتفرغ لكتابة القصة القصيرة ، قرأ تولستوي وبلزاك وديكنز وفكتور هيغو وكافكا ، يعترف بان عمله كطبيب ومعايشته لوالديه الطبيين تبرز بوضوح في اعماله الادبية فـ "هناك الموت الذي رأيته في الكثير من المواقف، والدم الذي كان يطاردني في مختلف غرف المستشفي خاصة في غرف العمليات الجراحية، والألم الذي كان يخيم على المرضى وكذلك حزن الأهالي على موت أو مرض أقاربهم، كل هذا العالم المسكون بالأوجاع تراه في أعمالي".

وبالعودة الى " مو يان " تخبرنا سيرته الذاتية انه ولد في قرية " غاومي " في مقاطعة شاندونغ والتي تقع شمال شرق الصين في السابع عشر من شباط عام ١٩٥٥ واسمه الحقيقي " غوان موييه " ، عندما أنهى دراسته الابتدائية كانت الثورة الثقافية قد بدأت في الصين، فتوقف عن الدراسة، واتجه إلى العمل في الزراعة ورعي الاغنام ، وبعدها في معمل للقطن ، ثم استكمل دراسته الثانوية بالتزامن مع عمله، التحق بجيش التحرير الشعبي عام ١٩٧٦، وخلال خدمته العسكرية بدأ الكتابة، بعدها درس بالأكاديمية الثقافية لجيش التحرير الشعبي عام ١٩٨٤، وبعد تخرجه عام ١٩٨٦ عمل في الدائرة السياسية العامة في الجيش، وفي عام ١٩٩١ حصل على درجة الماجستير من جامعة بكين للمعلمين.

قال ان والده تلقى تعليماً ضئيلاً ومع هذا كانوا يعتبرونه مثقف القرية. انجبت عائلته الكثير من الابناء : " هذا النوع من العائلة ، جعلني أشعر بالكآبة تجاه هذا العالم، وكان السبب الأهم لشعوري بهذه الكآبة، هو الفقر المدقع الذي كنا نعيش فيه. " .عندما ترك الدراسة عمل راعيا : " كنت أرافق الغنم والبقر وأتحدث معها، وقد جعلتني هذه التجربة

منعزلاً، إنطوائياً، أخاف من مقابلة الناس، ولا أستطيع التعبير عن نفسي، وإذا صادفت مشكلة أو أي أمرٍ فإنني أكون هياباً شديد الحذر. بالطبع إذا أصبحت كاتباً، فيمكنك تخفيف هذا النوع من الألم بالكتابة، والتعويض على نفسك، لكنك إذا لم تكن كاتبا، فسيصبح الألم الذي عانيته أشد ممّا سبق " . قال ان الكتابة لم تساعده على نسيان الماضي القاسي الذي عاشه في طفولته وحين سأل : إذا عاد به الزمن الى الوراء ، هل ستختار أن تصبح كاتباً، أو ان يعيش طفولة سعيدة ؟ فأجب بلا تردد: " بالطبع سأختار أن أعيش طفولة سعيدة " . ، يسخر من الذين لم يجربوا الجوع ، يتذكر إن أحد ابناء قريته الذي تعلم في بكين، قال له مرة بعد أن عاد للقرية، إنه عرف كاتبا في بيكين يأكل ثلاث مرات في اليوم، فقرر أن يكون كاتبا، إذا كانت الكتابة تنتشل الإنسان من براثن الفقر والجوع.

اصدر روايته الاولى " مطر في ليلة ربيعية" عام ١٩٨١، لكنها لم تلفت الانتباه اليه وفشلت دار النشر في بيع الف نسخة منها ، العام ١٩٨٥ ينشر روايته القصيرة " الصبي السارق الفجل" – ترجمها الى العربية حسانين فهمي حسن – والتي يصفها بانها روايته الاولى . كان في الثلاثين من عمره عندما بدأت الصحافة تكتب عنه ، قال مويان عن روايته هذه انها تشير إلى بعض الجوانب في حياته الشخصية ، ويتذكر انه خرج ذات يوم من احد المطاعم وهو يفكر في كتابة رواية قصيرة وقرر ان يكتبها بطريقة مغايرة للكتابة الكلاسيكية : "كنت عملت في طفولتي عاملا أجيرا في مسقط رأسي بريف شاندونغ، وحدث معي الكثير من الأحداث التي سجلتها القصة حول البطل، وهكذا فقد أشارت القصة إلى الحلم الذي حلمه البطل، ويعتقد الكثير من النقاد والقراء أن هذه القصة هي أفضل أعمالي على الإطلاق حيث كنت قد كتبتها آنذاك قبل الإلمام بالنظريات الأدبية والكثير مما يتعلق بأساليب الإبداع الأدبي، فهي تتمتع ببراءة الطفولة والصدق في تصوير العالم المحيط بالكاتب" ..

يصف نفسه انه كاتب يحفر التراب و يمهد الطرق بيده العارية، قال في حوار معه انه منذ فوزه بالجائزة ومنتقديه:" يستخدمون النظارات المكبرة للبحث عن عيوبي، لدرجة أنهم حرفوا بعض أشعاري " ..توصف " الصبي سارق الفجل " بانها مشهد بانورامي يسلط الضوء على الريف الصيني إبان فترة الثورة الثقافية الصينية . بعد عام تصدر روايته الثالثة : " الذرة الرفيعة الحمراء " – ترجمها الى العربية حسانين فهمي حسين – قصة عائلة صينية ريفية تمتلك مخبزاً لصناعة نبيذ الذرة في احدى القرى، وتتكون هذه العائلة من الجد الذي كان يعمل حمالاً في شركة لنقل توابيت الموتى وهوادج الأفراح، ثم أصبح بعد ذلك زعيما لعصابة من قطاع الطرق، انضمت فيما بعد إلى قوات الجيش لمقاومة الاعتداء الياباني ..وقام الجد في شبابه بقتل صاحب المخبز واستولى عليه، وكانت النهاية المفجعة حين قتلت القوات اليابانية زوجته الثانية وابنته الطفلة صاحبة الأعوام الخمسة .

كتبت صحيفة نيويورك تايمز عن " الذرة الرفيعة الحمراء " بان مو يان استطاع من خلالها أن يعرف القارئ الغربي بثقافة المناطق الصينية المختلفة . .ويشير النقاد إلى أن " الذرة الرفيعة الحمراء" تعد واحدة من أهم الروايات الصينية الحديثة التي تؤرخ للمقاومة الصينية ضد المعتدي الياباني، حتى إن نقاد الأدب الصيني اعتبروها واحدة من الروايات التي كان لها تأثير كبير في تاريخ تطور رواية الحرب في الصين .

في روايته الضفادع الصادرة عام ٢٠٠٩ – ترجمتها الى العربية ميراي يونس – يوجه مو يان سهامه الى موضوع سياسة تنظيم الأسرة في الصين، أي سياسة الطفل الواحد التي ظلت سارية حتى العام ٢٠١٥، لتستبدل في العام ٢٠١٦، وتعوّضها سياسة الطفلين، ويغوص في بنية المجتمع الصيني ملتقطا التغيّرات التي أثرت فيه وبلورته طوال العقود الماضية .

استطاع "مو يان" ان يكشف للعالم عن الريف الصيني المغلق من خلال رواياته، وقد كان لولادته في أسرة تعمل في الزراعة وظروف طفولته القاسية الدور الكبير في التأثير على كتاباته، وعبر رواياته لم يصوّر الوجه الخفي من الريف فحسب، بل تمكن كذلك من تقديم ما يشبه النقد للمجتمع والسلطة والعادات البالية ، وهو اذ يقدم الحكايات التي تظهر مختلف الجوانب من التاريخ الاجتماعي والسياسي للصين في القرن العشرين، فانه يحاول من خلالها ان يبين كيف رسمت هذه الحكايات ملامح البشر وشكلت هوياتهم المستقبلية، وحددت لهم دروبهم الحياتية، ومصائرهم .

ولعل اهم عناصر نجاح روايات مو يان وتحقيقها الشهرة العالمية انها قدمت نموذجا للرواية بعيدا عن مفهوم الواقعية الاشتراكية التي سادت في زمن ماوتسي تونغ. واستطاعت اعمال مو يان الروائية ، بفنية عالية ان تكشف عن البنية التحتية للمرحلة الماوية من تاريخ الصين الحديثة، وتعري كل تناقضاتها بشكل مراوغ على طريقة مو يان في الاستفادة من الرقابة ،واستطاعت هذه الروايات ان تقدم الحاضر ، لكنها في المقابل تحتفي بالماضي ويجد القائ ظلال المفهوم الفلسفي الكونفشيوسي يهيمن على اجزاء من رواياته ، من خلال محاولة طرح بديل أخلاقي لحاضر الصين المتوتر الممزق بين نزعات السوق اللاأخلاقية والنزعة الفردية والكسب السريع .ومثل معلمه " غاو شينغجيان " يقدم اعماله بعيدا عن البطولات الزائفة التي كان صاحب جبل الروح يسخر منها .

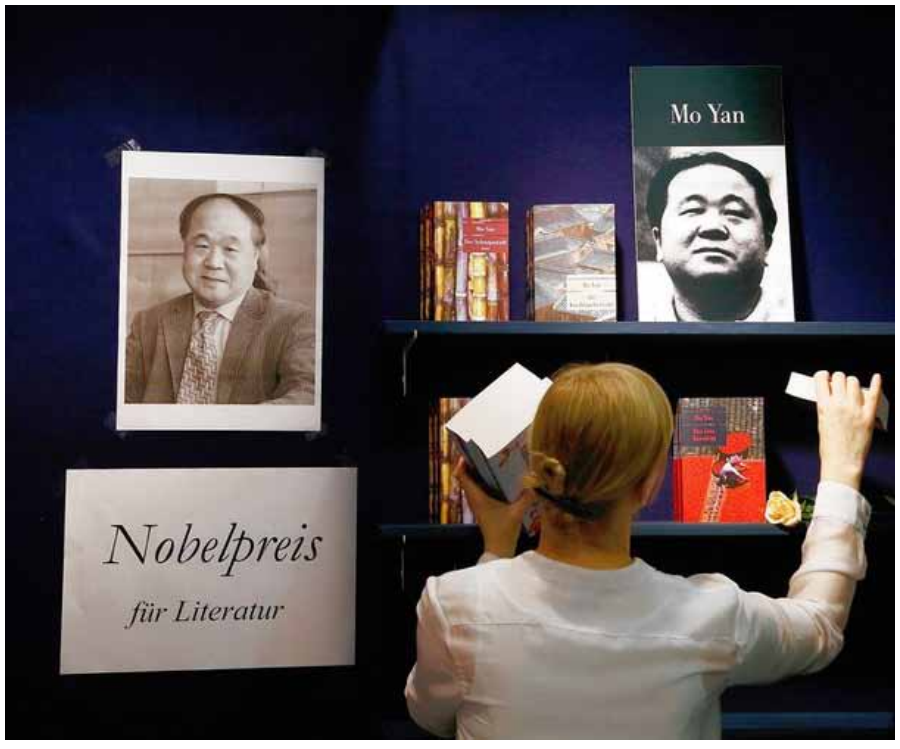

وجه الروائي وقناعه.. مو يان..
عندما تكتب الشخصية مؤلفها!

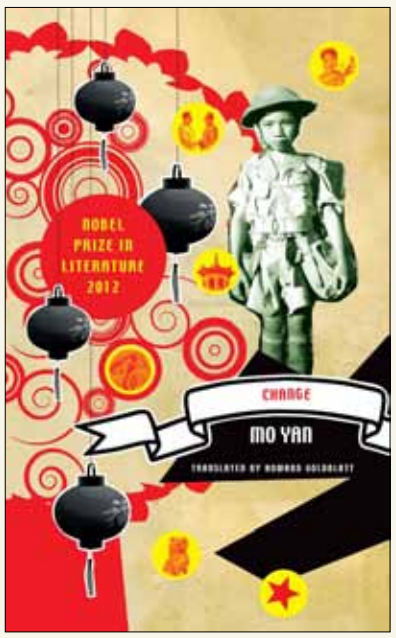

طارق إمام

هذه الرواية هي أساساً عبارة عن مذكرات، وإن لم يكن كل ما أرويه دقيقاً من الناحية التاريخية، فذلك بسبب وجود ثغرات في ذاكرتي بعد كل هذه السنوات». بهذه الطريقة قرر الصيني الحائز على جائزة نوبل ٢٠١٢ مو يان إبرام اتفاق مع قارئ روايته «التغيير»، يقضي بأن النص الذي بين أيدينا ابناً للواقع وليس للخيال.. وبأنه، بالتالي، خاضع لمنطق «صدق الواقع» وليس فقط «معقولية الفن».

الرواية التي صدرت ترجمتها العربية مؤخراً عن «الدار العربية للعلوم ناشرون» بترجمة زينة إدريس «عن الإنجليزية»، تقدم وجهاً آخر للكاتب الذي اعتبرته لجنة جائزة نوبل للآداب أحد أبناء أسرة المزج بين الواقع والخيال.

السارد في الرواية يحمل اسم «مو يان»، دون مواربة أو تحريف في الاسم أو قناع يستر قدراً من عورة صاحب الحكاية. السارد إذن هو نفسه المؤلف، والحكاية التي بين أيدينا، بالتالي، ليست أكثر من صفحات انتُزعت من سيرته، قرر أن يكتبها قبل أن يطويها النسيان.

في هذه الرواية القصيرة «١١٠ صفحات» يعرض صاحب «الذرة الرفيعة الحمراء» قدراً غير هين من سيرته الحقيقية، منذ اللحظة التي طرد فيها من المدرسة وحتى أصبح كاتباً شهيرا. بين الخروج الإجباري من مؤسسة «الكتابة» الوحيدة في بقعة شفهية بالكامل، وحتى دخولها من جديدٍ من بوابة الأدب، يقطع مو يان رحلة تبدأ روائيا ذات عصر خريفي من العام ١٩٦٩ وتنتهي عام ٢٠٠٩. وبأكبر قدر ممكن من التكثيف والاختزال، يغطي مو يان التحولات الجوهرية في حياته في مشاهد سريعة وقفزات زمنية. رغم ذلك لا يتخلى الكاتب المولع بالحكي عن هوايته الأثيرة، فينسج حفنة من الحكايات المدهشة القادمة من بئر طفولته لتصحبه، وتكبر معه.

ربما إذا كان من بطل تلتم الأحداث على ضفاف وجوده، فإن هذا البطل قد يكون تلك الشاحنة «الغاز ٥١» التي أسرت طفولة السارد، حتى أنه ظل لفترة غير قليلة يحلم بأنٍ يكون سائق شاحنة، بل ويرى في ذلك مجداً كفيلاً بتعويضه عن جميع مراراته وإخفاقاته.

يبدأ مويان من عصر خريفي عام ١٩٦٩، بعد أن طرد من المدرسة بتهمة زائفة، بالسخرية من أحد أساتذته. ومن مشهد مركزي، في حصة الإنشاء، يجمع فيه كافة طلاب الصف على حلم واحد: أملهم في العمل كسائقي شاحنات مثل والد لو وينلي، زميلتهم الأجمل في الصف. من هذه الواقعة ينطلق مويان، الذي رأى في سائق الشاحنة التي تتبع الجيش بطلا ملحميا، ليسرد قصة انضمامه لجيش التحرير. إن الشاحنة تلعب في رواية مو يان دورا مهيمناً، فهي، في الأخير، علامة متخمة بتحولات الصين، كأنها معادلٌ للتاريخ الحديث لذلك الوطن نفسه: « قيل لنا إن الغاز ٥١ كانت شاحنة سوفييتية، من مخلفات عتاد حرب الخمسينيات لمقاومة العدوان الأمريكي ومساعدة كوريا. وكانت ثقوب الرصاص التي خلفتها الطائرات الأمريكية على الصندوق دليلاً على أن الشاحنة مكللة بالمجد. فعندما اشتعلت نيران الحرب، حاربت ببسالة وسط وابل من الرصاص. والآن، في زمن السلم، تثير سحابة من الغبار وهي تذرع الطريق».

بعد سنوات، سيخفق مو يان في تحقيق حلمه، ليعوضه باستكمال ما فاته من تعليم، والاهتمام بكتابة القصص. المفارقة المدهشة والمؤلمة، أنه عند بدء تصوير فيلم مقتبس عن روايته «الذرة الرفيعة الحمراء» في قريته، ستظهر الشاحنة من جديد، وقد اشترتها الشركة المنتجة لتقل طاقم العمل، ولاستخدامها في التصوير، معيدة طلاءها، وواضعة على جسدها عنوان رواية مو يان بالبنط العريض!

في طيات هذه السيرة اللاهثة، تحضر العديد من الشخصيات الاستثنائية رغم فقرها وعاديتها. هناك «خي دجيوو» الذي يغادر المدرسة بقرارٍ حاسم، يوم حصة الإنشاء نفسها، متدحرجا ككرة في سلوك استعراضي لا يُصدق. يخرج «خيٍ» متكوماً على نفسه كحشرة من باب المدرسة فاتحا أبواب العالم، ساخراً منٍ مؤسسة التعليم برمتها، ليصبح في النهاية ثرياً كبيراً من طبقة رجال الأعمال الصينيين، يتاجر في كل شيء وأي شيء. يحول خي إخفاقه في الزواج بلو وينلي الجميلة لنجاح مالي. يشتري فيما بعد شاحنة أبيها دون أن يكون بحاجة لها. إنها طريقته في الانتقام لطفولته والانتقام من ذاكرته.. وعندما تدور الدوائر بالفتاة الجميلة، يخبرها ببساطة أن أقصى ما يستطيع تقديمه لها أن يقبلها كعشيقة. طبقة كاملة يوجزها مو يان في زميلٍ الطفولة الذي اقترض منه عشرة ينات ليرحل باحثا عن عمل.. عشرة ينات سيتحول بفضلها إلى مليونير في المستقبل. خي نفسه هو من سيبيع الشاحنة فيما بعد لشركة السينما التي تتولى إنتاج فيلم عن رواية لزميله القديم! هكذا تتعامل رواية مو يان مع التاريخ كحفنة من المصادفات القدرية، قادمة جميعها من بئر الطفولة.. فلا شيء يضيعٍ، وإنما تتحولٍ جميع الأشياء لتتخذ مظاهر وأدواراً مختلفة معيدة تدوير نفسها ووظائفها. المشهد الختامي للرواية يؤكد ذلك.. فأخيراً يقابل مو يان، وقد صار روائياً شهيراً، لو وينلي، حلم طفولته الأخاذ، والتي صارت أرملة شبحية، طلبت رؤيته ليمررٍ ابنتها في اختبار فني كبير.. يجلسان أخيراً معاً من جديد، على شرفٍ الشاحنة القديمة الغامضة.. ويقبل مو يان مبلغاً من المالٍ، مقابل مساعدته في تمرير الفتاة في الاختبار، منهياً روايته بصدمة أخلاقية غير متوقعة، يسردها، رغم ذلكٍ، ببساطة شخص لا يزال غير مصدق أنه لم يعد فقيراً!

حوار مع أديب نوبل الصيني مو يان

أجراه مترجم رواية "الذرة الرفيعة الحمراء" إلى العربية

حسانين فهمى حسين

بدأت علاقتي بمو يان في الحقيقة مع أعماله، قبل أن تربطني به أي علاقة مباشرة. حيث أخذت أعمال مو يان تثير انتباهي منذ دراستي للماجستير في الأدب الصيني، وتحديدًا في عام ٢٠٠٣. وفي خريف عام ٢٠٠٧ التقيت به لأول مرة في ندوة بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، والتي كانت حول أدب منطقة الشرق الأوسط. وقد ألقى السيد مو يان خلال الندوة كلمة حول الأدب الصيني المعاصر ومشواره الإبداعي. وكنت قد طرحت عليه خلال هذه الندوة عددا من التساؤلات الخاصة بالأدب الصيني وأعماله وتقييمه لما وصل إليه الإبداع الأدبي في الصين، ولماذا تأخرت نوبل الآداب عن الأدباء الصينين، خاصة بعد تخطيها لشيخ الأدب الصيني صاحب ثلاثية "التيار" الرواقي الراحل باجين. وقد وعدني السيد موا يان حينها بلقاء خاص يجيب فيه عن تساؤلاتي حول الأدب الصيني، وخاصة بعد أن ذكرت له اهتمامي بأعماله ورغبتي في ترجمة رائعته المعروفة "الذرة الرفيعة الحمراء".

نص الحوار

حسانين: وما رأيكم في ما ذكرته لجنة نوبل في حيثيات منحكم هذه الجائزة الرفيعة من أن أعمالكم تتميز بالمزج بين ما هو واقعي وما هو أسطوري وتأثركم بالواقعية السحرية؟

مو يان: نعم تتميز أعمالي بالمزج بين الواقعي والخيالي والغوص في عالم الأحلام، وليس العالم السحري بالمعنى الدقيق للكلمة، وهذا يشير إلى اختلاف معنى كلمة السحر الذى أشارت إليه لجنة نوبل، وبين معنى المفردة في اللغة الصينية. وحيث حضرت ندوة السيد سكرتير لجنة نوبل التي عقدت في شنغهاي الشهر الماضي، ولاحظت اختلاف الترجمة الإنجليزية لكلمات لجنة نوبل في تقييم إبداعي. أما عن تيار الواقعية السحرية ورائده جابريل جارثيا ماكيز، فإنه بالطبع كان له تأثير واضح على إبداعاتي القصصية في فترة الثمانينيات. وأن أسلوب ماركيز كان له تأثير كبير على أسلوبي في تلك الفترة وحيث كنت اسير على خطى الواقعية التقليدية الصينية. أما عن المزج بين ما هو واقعي وخيالي أو أسطوري في أعمالي، فيجب أن نشير في ذلك إلى نشأتي في هذه المنطقة من الصين، هذه المنطقة الغنية بالتراث الشعبي والأساطير الثرية، وتأثري بأعمال كتاب صينين ينتمون إلى هذه المنطقة مثل الكاتب الصيني بوسونغ لينغ الذى عاش غرب هذه المدينة قبل حوالى مائتين عام مضت، هذا بالإضافة إلى تأثري بأمهات الأدب الصيني الكلاسيكي مثل "حلم المقصورة الحمراء" للكاتب تساو شويه تشين وغيرها من الأعمال الكلاسيكية. وفى هذا الصدد أفضل أن يذكر بأن تأثري بالكاتب الصيني بوسونغ لينغ إبن شاندونغ بالمزج بين الواقعي والأسطوري يفوق تأثري بجارثيا ماركيز.

حسانين: انطلاقا من هذه النقطة والحديث عن جابريل جارثيا ماركيز والأدب العالمي، فهل يمكن لسيادتكم أن تحدثنا عن أهم الكتاب الصينيين والأجانب الذين كان لهم تأثير واضح على إبداعاتكم؟

مو يان: بالطبع. فإذا تحدثنا عن الكتاب الأجانب فإنه فضلا عن جارثيا ماركيز، هناك أيضًا الأمريكي وليام فوكنر واليباني ياسوناري كوابا والكاتب الألماني إدجار هيلسنرات وميخائيل شولوخوف و تولستوي وغيرهم من الكتاب الكبار. أما عن الكتاب الصينين فهناك كما ذكرنا بوسونغ لينغ وتساو شويه تشين ومن الأدب الحديث هناك الكتاب لو شيون وماو دون وشين تسونغ ون والذين كان لهم تأثير واضح على إبداعاتي.

حسانين: سيد مويان تتميز أعمالكم بأنها ربما كانت من أوائل وعلى رأس الأعمال الأدبية لجيلكم التي ترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، وحصدت عددا كبيرا من الجوائز المحلية والعالمية قبل فوزكم بنوبل هذا العام. كيف تنظرون إلى هذا الأمر؟

مو يان: بالطبع بدأت ترجمة أعمالي إلى عدد من اللغات الأجنبية منذ نهاية الثمانينيات. وكانت اللغة الفرنسية أول اللغات الأجنبية التي ترجمت إليها أعمالي وخاصة رواية "الذرة الرفيعة الحمراء"، واستمرت الترجمة إلى مختلف اللغات التي أعتقد أنها بلغت العشرين لغة. وحيث نرى أن أعمالنا ربما تتميز ببعض الجوانب التي تجذب القراء الأجانب والمترجمين عن الأدب الصيني المعاصر. وحيث يجد القارئ الأجنبي في أعمالنا بعض الجوانب التي ربما لن يجدها في أعمال كتاب أخرين. إلا أنه يجدر الإشارة إلى أن الساحة الأدبية الصينية غنية بعدد كبير من الكتاب المعاصرين الذين لديهم الأعمال المميزة ولكن لم يتم ترجمتها بشكل كبير كما حدث مع الأعمال الخاصة بنا.

حسانين: بالعودة إلى رائعتكم المعروفة رواية "الذرة الرفيعة الحمراء"، فإنه كما ذكرنا كانت هي الرواية الوحيدة التي تم الإعلان عن قرب صدور ترجمتها العربية من ضمن أعمالكم الكثيرة. حتى راح القراء العرب يتساءلون فور إعلان فوزكم بنوبل، من هو هذا الكاتب الصيني الكبير مو يان الذى حازت إبداعاته إعجاب لجنة نوبل. فماذا تقول سيادتكم لجمهور القراء العرب؟

مو يان: بالطبع أود أن أقول لهم أعزائي القراء العرب في كل البلدان العربية الصديقة، تحية إليكم جميعًا. وبداية أود أن أتوجه إليكم بالشكر على اهتمامكم وزيارتكم ، ولا زلت أذكر أننا كنا قد تقابلنا معًا قبل خمس سنوات من اليوم في بكين، وقد ذكرتكم لي اهتمامكم بدراسة وترجمة الأدب الصيني إلى العربية، ورغبتكم في ترجمة روايتي "الذرة الرفيعة الحمراء" الأمر الذى أسعدني كثيرًا لأن تتاح الفرصة لكم للاطلاع على أعمالي الأدبية. وكنتم قد انتهيتم من ترجمة هذه الرواية عام ٢٠٠٩ أي قبل الإعلان عن فوزى بنوبل بثلاثة أعوام، ولكن تسببت بعض الأمور في تأخر صدورها إلى عام ٢٠١٢. وبالطبع فإن قرب صدورها خلال هذه الايام يأتي في توقيت مناسب بسبب حصولي على نوبل هذا العام. فهذه الرواية بلا شك تعتبر من أهم أعمالي، وهى أيضًا العمل الذى كان سببًا في شهرتي في الأوساط الأدبية الصينية والعالمية، كما تم تحويلها إلى فيلم سينمائي تم عرضه في أواخر الثمانينات وحاز إعجاب الكثيرين

داخل وخارج الصين وحصد جوائز كبيرة. فهذه الرواية واحدة من أهم أعمالي الأدبية والتي تعبر خير تعبير عن أبداع مو يان، وعن الأدب الصيني المعاصر في أواخر الثمانينيات. ومن ثم فإنه يسعدني أن أتوجه إليكم بالشكر على جهدكم في ترجمة هذه الرواية المهمة، وأعرب عن سعادتي بأن تتاح الفرصة أخيرًا أمام القارئ العربي للاطلاع على أول روايتي "الذرة الرفيعة الحمراء".

حسانين: عظيم. ما دمنا نتحدث عن روايات "التغيرات" و"الحياة والموت كبد وعناء" و"الإعدام على خازوق الصندل" وغيرها من الأعمال، فلماذا سيد مو يان تبدو راويتكم "الإعدام على خازوق الصندل" بهذه الصورة الوحشية"؟

مويان: بالطبع يبدو للقارئ ذلك، وهذا ليس بعيدًا عن الحياة التي كان يعيشها الإنسان الصيني آنذاك، والتي كانت ممتلئة بالقسوة والظلم والوحشية. وحيث شهدت هذه المنطقة مدينة قاو مى آنذاك الكثير من الأحداث التي سجلتها الرواية، فنحن نكتب في هذه الرواية عن الواقع الصيني آنذاك وما عاناه المواطن الصيني البسيط آنذاك. فأفضل أن نقول أن الرواية تكتب عن الإنسان خير من القول بأنها تهتم بالحديث عن العقوبة القاسية بالإعدام على خازوق الصندل. حيث تهتم الرواية بتصوير الجانب النفسي والإنساني عند ذلك الشخص الذى كان ينفذ جريمة الإعدام. وهكذا فإن القارئ العربي الكريم يمكن له من خلال مطالعة هذه الرواية أن يقف على الخلفية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للصين آنذاك، وبالطبع يمكن أن يربط بين ذلك وبين الواقع العربي في نفس الفترة التي تصورها الرواية من تاريخ الصين الحديث. وحيث تعرضت البلاد العربية آنذاك مثلها مثل الصين للاستعمار الأجنبي.

حسانين: وماذا عن قصتي "التغيرات" و"الفجلة الذهبية" وهل هناك علاقة بين موضوع هاتين القصتين وبين حياتكم الشخصية؟

مو يان: دعنا نبدأ بقصة "الفجلة الذهبية" والتي تعتبر أول قصة في مشواري الإبداعي وأول قصة كان لها الأثر الكبير في ظهور أسمى على الساحة الأدبية الصينية، وحيث نشرت في عام ١٩٨٥، وأكدت فور صدورها مكانتي ككاتب شاب آنذاك. وبالطبع تشير القصة إلى بعض الجوانب في حياتي الشخصية حيث كنت قد عملت في طفولتي عاملا أجيرا في مسقط رأسي، وحدثت معي الكثير من الأحداث التي سجلتها القصة حول البطل، وهكذا فقد أشارت القصة إلى الحلم الذى حلمه البطل. ويعتقد الكثير من القراء والنقاد أن هذه القصة هي أفضل أعمالي على الإطلاق حيث كنت قد كتبتها آنذاك قبل الإلمام بالنظريات الأدبية، والكثير مما يتعلق بأساليب الإبداع الأدبي، فهي تتمتع ببراءة الطفولة والصدق في تصوير العالم المحيط بالكاتب.

أما عن قصة "التغيرات"، فهي إحدى القصص التي صدرت لي خلال السنوات الأخيرة، وتعود قصتها إلى عام ٢٠٠٥ عندما كنت قد ذهبت مع إبنتي إلى إيطاليا لاستلام جائزة نونينيو الأدبية، وتقابلت آنذاك مع ناشر هندي والذى طلب منى مع عدد من الكتاب الأخرين من دول مختلفة أن يكتب كل منا عمل قصير يتعلق بحياته الشخصية وخبراته الخاصة ووجهة نظره في الحياة المعاصرة. وفكرت في البداية في الكتابة عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التي شهدتها الصين خلال الأعوام الأخيرة من خلال كتابة سيرة ذاتية خاصة بي، إلا أنني شعرت بأن كتابة مثل هذه السيرة الذاتية الخالصة لن يحقق الهدف من الفكرة التي أود التعبير عنها، ومن ثم فضلت أن أقدم ذلك من خلال الأسلوب الأدبي الذى يجمع بين ما هو واقعى وخيالي، فهي قصة تتميز بطابع سيرذاتي واضح، وتدور أحداثها في محيط هذه المدينة التي نلتقى فيها الأن مدينة قاو مى.

حسانين: سيد مو يان هل يمكن أن تحدثنا عن الأزمة التي أحدثتها صدور روايتكم "النهود الكبيرة والأرداف الممتلئة" فور صدورها في منتصف التسعينيات؟

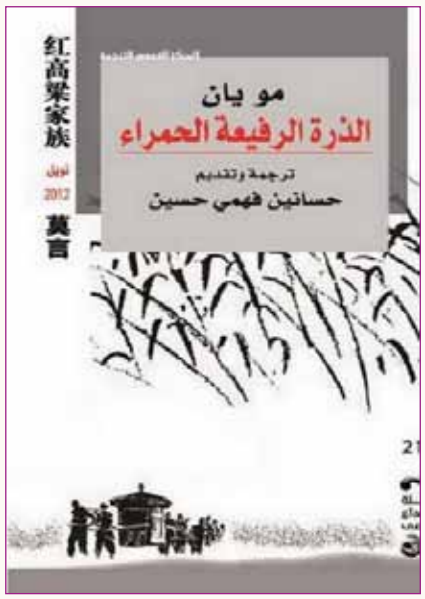

مو يان: نعم تعرضت هذه الرواية آنذاك للنقد، وحيث تعبر هذه الأزمة خير تعبير عن التغيرات التي شهدها المجتمع الصيني في العصر الحديث، حيث كان من الصعب صدور مثل هذه الرواية بهذا العنوان في عام ١٩٩٦ عام صدور الرواية للمرة الأولى، في حين تغير الوضع تمامًا في عام ٢٠٠٤ حيث بدأ الاهتمام بهذا العمل وتوالت طباعته في الصين وترجماته خارج الصين.

حسانين: أشرتم في حديثكم إلى أن الساحة الأدبية الصينية المعاصرة غنية بالكثير من الكتاب الصينين المعاصرين الذين يتمتعون بمكانة وقيمة كبيرة في تاريخ الأدب الصيني المعاصر، فما رأيكم في إبداعات الكتاب من جيلكم أمثال آلاى ويوخوا وتيه نينغ وغيرهم من الكتاب المعاصرين؟

مو يان: نعم هناك قائمة طويلة من الكتاب المعاصرين الذين يتمتعون بمكانة وقيمة أدبية كبيرة على الساحة الأدبية الصينية المعاصرة من أمثال الكتاب آلاى، يوخوا، وانغ آن إى، سو تونغ، قه فيي، جانغ وى وغيرهم من الكتاب الذين هم جديرين بالحصول على نوبل في الآداب، والذين ربما ستتاح لهم الفرصة للحصول على هذه الجائزة.

حسانين: ما دمتم ذكرتم الكاتبة وانغ آن إي، فإنني كنت قد قرأت في بعض المصادر اهتمامكم وتقديركم لأعمال هذه الكاتبة الصينية المعاصرة، فما تعليقكم على هذا الأمر؟

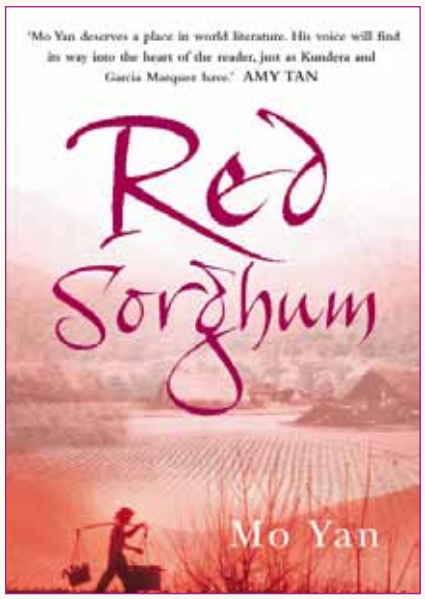

مو يان: نعم. تتميز إبداعات الكاتبة وانغ آن إي بخصوصية واضحة تظهر من خلال أسلوبها في الكتابة والذى يجعلك تشعر اثناء مطالعة أعمالها وكأنها فنانة قديرة تنسج حكايات أعمالها، وتستخدم لغة جميلة تعبر عن خصوصية الأنثى، وقد نجحت وانغ آن إي في التعبير عن بعض الموضوعات الهامة التي تتعلق بمدينة شنغهاي وريف سوجوو مسقط رأسها وغيرها من الأعمال التي تعبر عن جيل الشباب المثقفين والقضايا الخاصة بهم ومعاناتهم بعد سنوات الثورة الثقافية الكبرى. وهكذا فإنني أهتم بمتابعة أعمال هذه الكاتبة الصينية المعاصرة.

حسانين: وهل يمكن أن نسألكم عن الشخصية التي كان لها تأثير كبير في حياتكم الشخصية ومشواركم الإبداعي؟

مو يان: نعم إنها أمي.

حسانين: أعتقد أن صورتها ظهرت في عدد من الأعمال الخاصة بكم.

مو يان: نعم، ظهرت صورة أمي في عدد من أعمالي الأدبية، وحيث كان لها تأثير واضح في خبراتي الحياتية والجوانب الأخلاقية، وغيرها من الجوانب الهامة في حياتي، والتي سجلتها في بعض الأعمال والتي لا تخلو بالطبع من بعض الخيال الأدبي.

حسانين: ما دمنا نتحدث الأن من مدينة قاو مي مسقط رأسكم، والتي تقع في حدود مقاطعة شاندونغ مسقط راس الحكيم الصيني الكبير كونفوشيوس. فما رأيكم فيما تقوم به الصين خلال الأعوام الأخيرة بتأسيس عدد كبير من معاهد كونفوشيوس في مختلف الدول الأجنبية والتي وصلت تقريبًا إلى حوالى 400 معهد حول العالم؟

مو يان: نعم يعتبر المفكر الصيني المعروف كونفوشيوس رائد الثقافة الصينية، وحيث أن تأسيس معاهد كونفوشيوس خارج الصين تعد خطوة هامة في مجال نشر الثقافة الصينية والتعريف بفكر كونفوشيوس. مثلها في ذلك مثل معاهد جوته المتعلقة بالثقافة الألمانية. إلا أنني أعتقد أن هناك مبالغة في تأسيس معاهد كونفوشيوس خارج الصين، بما يتعلق بذلك من نفقات مادية عالية جدًا. إلا أنها في مجملها تعد خطوة مهمة في مجال تعليم اللغة الصينية والتعريف بالثقافة الصينية.

حسانين: بالوقوف عند حديثكم عن دور معاهد كونفوشيوس في تعليم اللغة الصينية للأجانب، فما رأيكم في ترجمات أعمالكم إلى اللغات الأجنبية المختلفة؟ وهل يساوركم القلق تجاه نجاح المترجمين في نقل نصوصكم إلى اللغات الأجنبية المختلفة؟

مو يان: بالطبع يعتبر نقل الأدب من لغة إلى لغة قضية بالغة الصعوبة. فالترجمة الأدبية هي بمثابة إبداع ثان. وأنكم تدركون صعوبة الترجمة بين اللغتين الصينية والعربية. وأعتقد أن المترجم عليه أن ينجح في نقل مضمون حكاية العمل الأدبي بلغة سليمة تساعد القارئ على الإلمام بهذا العمل المترجم. فالمترجم عن الأدب الصيني يجب أن يكون على دراية كبيرة بالثقافة الصينية والتاريخ الصيني وغيرها من الجوانب المتعلقة بخلفية العمل، وحيث أنه يجب عليكم أن تقدموا الأعمال الأدبية الصينية للقارئ العربي من خلال لغة سليمة وجميلة إلى حد كبير تساعد القارئ العربي على التعرف على ملامح وخصوصية الإبداع الأدبي الصيني. وفى هذا الصدد يسعدني أن أشكركم للمرة الثانية على جهدكم الكبير في ترجمة روايتي إلى اللغة العربية وحيث أعلم جيدًا صعوبة الترجمة بين هاتين اللغتين.

عن موقع حكمة الالكتروني

مو يان: "العمّ فوكنر، كيف حالك؟"

ترجمة: مي ممدوح

مو يان

فوكنر

ذكر «مو يان» «فوكنر» عدّة مرّات، في خطاباته ومقالاته، ويمكن القول إن «فوكنر» كان معلماً مهمّاً، للغاية، في مسيرة «مويان» الإبداعية، يتذكّر «مويان»، بوضوح، لقاءهما الأوّل، قائلاً: «كان عصر يوم، تتساقط فيه نتف الثلج بغزارة في كانون الأوّل/ ديسمبر، من عام ١٩٨٤، حيث استعرت من زميل لي كتاب «الصخب والعنف» لـ«فوكنر».

وفي مارس، عام ٢٠٠٠، ألقى «مويان» كلمة في جامعة «كاليفورنيا» بعنوان «أيُّها العمّ «فوكنر»، كيف حالك؟». وفي تلك الأثناء، لم يكن المعلّم «مويان» حتماً، يتوقّع أنه سيحصل على جائزة «نوبل» في الآداب، بعدها باثنَيْ عشر عاماً.

عندما كنت ألقي خطاباً في جامعة «ستانفورد»، قبل بضعة أيّام، قلت إن قراءة كاتب لأعمال كاتب آخر، هي في الواقع بمنزلة محادثة، حتى أنها قد ترتقي إلى عاطفة حبّ، فلو نجحت المحادثة لغدا من المرجح أن يصبحا رفيقيْن، مدى الحياة، ولو كانت محادثة مزعجة، فسيمضي كل منهما في دربه الخاصّ.

واليوم، سأتحدّث، على وجه التحديد، عن محادثاتي مع الكُتّاب من جميع أنحاء العالم، حيث يمكن الحديث، أيضا، عن مسيرة الحبّ التي جمعتني بهم. في رأيي، الكاتب الجيّد خالد أبداً، وسيتحوّل جسده، بالطبع، إلى تراب كما الأشخاص العاديّين، تماماً، إن عاجلاً أم آجلاً، بينما تبقى روحه خالدة، ما انتشرت أعماله.

من الواضح أنه من غير المناسب قول مثل هذه الكلمات في مجتمع اليوم، الغارق في البذخ والترف، ذلك أن ثمّة الكثير من المغريات التي تطغى على القراءة، بينما تدفعني رغبتي في طمأنة ذاتي، وحثّها على مواصلة مسيرة الإبداع، حتماً، لقول ذلك.

بدأت مسيرتي في القراءة قبل عدّة عقود، عندما كنت طفلاً مشاكساً أرعى الأغنام والماشية في الأراضي العشبية، في مسقط رأسي. وفي موضعنا النائي المتخلّف، آنذاك، كانت الكتب من الكماليّات شديدة الندرة. كنت على دراية تامّة بكلّ أسرة لديها أيّ نوع من الكتب، في محيط يضمّ عشرات القرى، في بلدة «شمال شرق قاومي».

ومن أجل الحصول على الحقّ في قراءة هذه الكتب، غالباً ما كنت أعمل لدى هؤلاء الأشخاص ممّن لديهم الكتب. وفي منزل حجّار من جيراننا، بدت مجموعة «تنصيب الآلهة» المصوّرة، كأنها تحكي تاريخ الصين قبل ثلاثة آلاف عام، لكنها كانت تحكي -في الواقع- قصصَ العديد من الأشخاص الخارقين. على سبيل المثال، القول بأن عينَيْ شخص قد اقتلعتا بفعل آخر، فنَمت في محجرَيْ عينيه يدانٍ، وقد تبرعمت بهاتَيْن اليدَيْن عينان، يمكن لهاتَيْن العينين رؤية الأشياء على بعد ثلاثة أقدام تحت سطح الأرض؛ ثمّة آخر، يمكنه عزل رأسه عن رقبته ليغنّي في الهواء، حدث أن تحوّل عدوُّه إلى نسر، فأعاد وضْع رأسه على رقبته، بشكل معكوس، ونتيجة ذلك أنّ ركْض هذا الرجل، إلى الأمام، كان، في الواقع، تحرُّكاً للخلف، وركضه إلى الخلف كان يدفع به، في الواقع إلى الأمام.

مثل هذه الكتب لها جاذبية لا تُقاوم، لأطفال مثلي، منغمسين في الخيال طوال اليوم. ومن أجل قراءة هذه المجموعة، كنت أطحن له الدقيق بدفع الرحى، في منزله، طوال فترة الصباح، لأتمكّن من قراءتها لمدّة ساعتَيْن، على أن أقرأها في ممرّ الطاحونة، بمنزله.

وعند القراءة، كانت بنت الحجّار تقف خلفي لتراقبني، وبانقضاء الوقت، تأخذها على الفور. ولو كانت لديّ الرغبة في مواصلة القراءة، فعليّ الاستمرار في دفع الرحى. لم يكن هناك ساعات في ذلك المكان، آنذاك، فكانت مدّة الساعتَيْن تعتمد على مزاج ابنة الحجّار، فإذا كانت حالتها المزاجية جيّدة، مَرّ الوقت متباطئاً، بينما لو كانت في مزاج سيّئ، فسيمرّ خاطفاً.

ومن أجل إبقاء هذه الفتاة الصغيرة في مزاج سعيد، كان عليّ أن أرتقي شجرة المشمش لدى الجيران، لأسرق ثمارها وأطعمها إيّاها. إن منح شبح جشع مثلي الآخرين مشمشا مسروقاً، لهو أشبه ما يكون بدفع قطة جشعة لبصق السمك من فمها، لكنني ظللت أعطي المشمش، الذي أنالُه بشقّ النفس، للفتاة، وبالطبع، كان جمال ابنة الحجّار الفاتن سبباً مهمّاً، كذلك.

باختصار، لقد دفعت ثمناً باهظاً، في طفولتي، لقراءة كلّ الكتب في عشرات القرى من حولنا. كانت ذاكرتي جيّدة جدّاً آنذاك، إذ لم تكن سرعة القراءة مذهلة، فحسب، بل كنت موهوباً بذاكرة استثنائية. أمّا بالنسبة إلى فكرة التواصل بين المؤلّف والقارئ، فلم تكن قد تبرعمت آنذاك. في ذلك الوقت، كان الأمر متعلّقاً بشكل محضٍ بقراءة القصّة، فحسب، فقد كنت غارقاً في ثناياها، وغالباً ما أبكي، بحرقة، لمعاناة شخصيات القصّة، بل أقع، في كثير من الأحيان، في حبّ أولئك النسوة الجميلات اللاتي يضمهن نسيجها.

وبعد الانتهاء من قراءة عشرات الكتب في القرى المجاورة، لم أقرأ كتباً، تقريباً، لعدّة عقود. فقد اعتقدت أن تلك العشرات من الكتب هي كلّ ما في العالم من كتب، وإنجاز قراءتها يعادل الانتهاء من قراءة كتب العالم كافّة. وخلال هذه الفترة، كنت أعمل في الريف، فكان تواصلي مع الأغنام والماشية أكثر كثيراً من تواصلي مع الناس، حتى كدت أنسى تلك الكلمات التي تعلّمتها في المدرسة. بيد أن قلبي كان مفعماً بالخيال، وتمنّيت أن أكون كاتباً، أحيا حياة ملؤها السعادة.

عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، كبرت ابنة الحجّار، فصارت فتاة بالغة، فائقة الجمال، تعقد جديلة كبيرة تتدلّى حتى ردفها، ولها عينان برموش كثيفة، تنبعث منهما نظراتها الناعسة المبهمة. كنت مفتوناً بها، للغاية، وكنت غالباً ما أشتري لها الحلوى، بنقودي الزهيدة التي أجنيها من عملي الدؤوب. كانت حديقتا بيتَيْنا متجاورتَيْن، فكنا نذهب، عند الغسق، إلى النهر، لجلب الماء وسقي الخضروات. وعندما كنت أراها تحمل دلو الماء، وقد أطلقت لجديلتها العنان لتتراقص خلفها، وتهفو في سبيلها من أعلى ضفّة النهر، تجيش في صدري شتّى الأحاسيس، ويخالجني شعور بأنها أجمل مخلوق على وجه الأرض. كنت أسير خلفها، فأطأ بقدميّ العاريتَيْن ما تخلّفه خطواتها من أثار على شاطئ النهر، فيبدو وكأن تيّاراً يسري، عابراً بدني من أخمص قدميّ وحتى أعلى رأسي، فيفيض قلبي بالسعادة.

استجمعت شجاعتي، ذات غسق، وقلت لها إنني أحبها، وأتمنّى أن تصير زوجة لي. اعترتها الدهشة، ثم انفجرت بالضحك. قالت: «أنت، ببساطة، ضفدع يشتهي لحم بجعة!» شعرت بجرح كبير قد أصاب كرامتي، غير أن افتتاني بها لم يتبدّل؛ لذا طلبت من زوجة أخي الذهاب إلى منزلها، وعرض الزواج عليها. حملت زوجة أخي رسالة لي؛ فحواها أنها ستتزوّجني، طالما أمكنني كتابة عمل مثل «تنصيب الآلهة». ذهبت إلى منزلها لأعبّر لها عن تطلّعاتي السامية، وأهدافي العظيمة، فلم تخرج لرؤيتي، بل هرع إليّ كلبهم المتوحّش الضخم مندفعاً كالنمر.

قلت، قبل بضعة أيّام، في محاضرتي في «ستانفورد»، إنني تحمّست للكتابة؛ رغبة في عيش حياة سعيدة، أتناول فيها (الجياوتسي) ثلاث مرّات في اليوم، وفي حقيقة الأمر، وباستثناء (الجياوتسي)، لقد ألهمتني تلك الفتاة في منزل الحجّار، بعينيها الناعستَيْن. لم أتمكن، حتى اليوم، من كتابة مثل هذا الكتاب المشابه لـ«تنصيب الآلهة». وبالفعل تزوّجت ابنة الحجّار من ابن الحدّاد، وغدت أمّا لثلاثة أطفال.

كانت معظم قراءاتي عندما كنت أدرس في قسم الآداب بالجامعة، وقد كتبت، آنذاك، الكثير من القصص الرديئة، للغاية. شُدهت عند دخولي الأوّل إلى مكتبة الجامعة، لم أتوقّع، حتى في أحلامي، أن العالم -بالفعل- زاخر بالكُتاب، ومملأن بكتبهم. لكنني كنت قد تجاوزت سنّ القراءة في ذلك الوقت، حيث وجدت أنني ما عدت قادراً -بالفعل- على الصبر لقراءة كتاب من أوّله حتى آخره، وقد انتابني شعور بأن أيّاً من القصص التي تضمّها هذه الكتب لم تتجاوز مخيّلتي. فقد كنت أرى المؤلف بتصفّح ما يربو عشر صفحات من الكتاب.

اعترف أن الكثير من الكُتّاب رائعين جدّاً، لكن ليس ثمّة الكثير من اللّغات المشتركة تجمعنا معاً، و-من ثمّ- لا تحمل كتبهم لي الكثير من الفائدة، فقراءة كتبهم أشبه ما يكون بتعاملي مع ضيف بشكل مهذّب وراق، كان ذلك هو الحال حتى وصلت بقراءاتي إلى «فوكنر».

أتذكر، بوضوح، أنه كان عصر يوم، تتساقط فيه نُتف الثلج بغزارة في كانون الأول/ ديسمبر، من عام ١٩٨٤، حيث استعرت من زميل لي كتاب «الصخب والعنف» لـ«فوكنر»، وأمعنت النظر في صفحة الغلاف، فكان ثمّة رجل عجوز يرتدي زيّاً غربيّ الطراز، يُحكم عليه برابطة عنق، ويقبض بفمه على غليون، لم ترُقْ لي الصورة. ثم بدأت في قراءة تلك المقدّمة المطوّلة التي خطها مترجم مشهور في الصين. كنت أقرأ فيغمرني الفرح، وتفهّمت، بشدّة الكثير من سلوكات هذا العجوز الأميركي غير المواكبة للعصر، كما شعرت بالودّ الشديد حيالها، منها -على سبيل المثال- أنه كان لا يقرأ الكتب بجدّيّة، منذ أن كان طفلاً، وكذلك أنه كان محبّاً للتقوُّه بالترّهات، كما كان يحبّ الكذب، حيث لم يخُص الحرب، بينما ادّعى أنه كان يقود الطائرة ويشتبك مع العدو في السماء، وقد أصيب، جرّاء ذلك، بشظيّة كبيرة جدّاً في رأسه، وأن هذه الشظيّة، التي اقتحمت دماغه، قد تمخّض عنها أسلوبه اللّغوي المبهم والمتحذلق.

كان مخموراً حينما ذهب لتسلّم جائزة «نوبل»، حتى أنه ألقى بالميدالية الذهبية في سلّة المهملات؛ ولمّا دعاه الرئيس «كيندي» إلى مأدبة عشاء في البيت الأبيض، قال إن تناول وجبة لا يستحقّ الهرولة إلى البيت الأبيض. لم يكن يعتبر نفسه، في الأساس، كاتباً، بل اعتبر نفسه مزارعاً، بينما فتنتني «مقاطعة يوكناباتوفا» وليدة مخيّلته. داخلني شعور بأن «فوكنر» يشبه المزارعين القدامى في مسقط رأسي، فقد علّمني، بنبرة نافذة الصبر، كيف ألجم المِهار بالرسن.

ثم بدأت في قراءة كتبه. اعتقد كثير من الناس أن كتبه غامضة، يصعب فهمها، بينما قرأتها بسهولة بالغة. أشعر أن كُتبه دافئة لطيفة مثل أحاديث أولئك المزارعين القدامى غريبي الأطوار في مسقط رأسي، فلا يهمّني القصص التي يرويها لي، لأن قدرتي على تأليف القصص ليست دون قدرته، لكن ما أعجبني هو تلك النبرة، وتلك الطريقة التي يسرد بها القصص.

كان يتصرّف كما لم يكن، في الساحة، غيره، فيتحدّث عن ذاته، فحسب، تماما، مثلما كنت أفعل عندما أرعى الماشية في مراعي مسقط رأسي، حيث أتحدّث إلى الماشية وطيور السماء، فحسب. قبل ذلك، كنت، دائماً، أكتب الرواية وفقاً للأسلوب المتّبع في مناهجنا لتعليم الرواية، والتي كانت، حقّاً، عملاً شاقّاً. شعرت بافتقاري لما أودّ كتابته، وفقاً لمناهجنا التعليمية، وإذا انتابني هذا الشعور، فإنه ينبغي عليّ مواصلة خوض غمار الحياة والتعمُّق فيها.

بعد قراءة «فوكنر»، شعرت كأنني قد استيقظت من حلم، ليتّضح أمامي أن الروايات يمكن أن تتناول الترهّات هكذا، وأن الأشياء التافهة التي تحدث في الريف، يمكن أن تنسج خيوط رواية بشكل رائع، فالكاتب لا يمكنه أن يختلق الشخصيّات، ويبتكر القصص، فحسب، بل يمكنه، أيضاً، أن يختلق الجغرافيا.

لذا، ألقيت كتبه جانباً، والتقطت قلماً لكتابة رواياتي الخاصّة. وقد كتبت، بجرأة، على الورقة: «بلدة شمال شرق (قاومي)»، مستوحياً إيّاها من اختلاقه الجغرافي «مقاطعة يوكناباتوفا». إن مقاطعة «يوكناباتوفا» خاصّته هي اختلاق خيالي محض، بينما بلدة «شمال شرق قاومي»، خاصّتي، هي مكان حقيقيّ. لقد اتّخذت قراراً بالكتابة عن مسقط رأسي، تلك الرقعة من الأرض التي تشبه، في حجمها، حجم طابع بريد.

كان ذلك، ببساطة، أشبه ما يكون بفتح هوس الذاكرة المتدفّقة، حيث أنعش حياة الطفولة كاملة، فتذكّرت ما قلته في تلك السنوات الخوالي، وأنا مستلق على العشب، قبالة الأبقار، والسحائب، والأشجار وطيور السماء، ثم كتبته في رواياتي، كما هو تماماً. ومنذ ذلك الحين، تبدّد قلقي بشأن عدم العثور على ما أودّ كتابته، وانحصر حول عدم قدرتي على الكتابة. غالباً ما يحدث ذلك، فعندما أكتب رواية، تصرخ في عقلي الكثير من الأفكار الجديدة، كما لو كانت كلباً ينبح خلفي.

وفي وقت لاحق، تعرّفت إلى أستاذ جامعي أميركي في ندوة «فوكنر» الدولية التي عُقدت في جامعة «بكين»، وكان يدرّس في جامعة قريبة من مسقط رأس «فوكنر». وقد دعاني هو ورئيس الجامعة لزيارتهما، لكنني لم أذهب، فأرسل إليّ ألبوم صور لـ«فوكنر»، يحتوي الكثير من الصور الثمينة، من بينها صورة لـ«فوكنر» وهو يقف أمام إسطبل للخيل، مرتدياً ملابس مهترئة، وحذاءً طويل الساق، بالياً. أعادتني صورته هذه، على الفور، إلى بلدة «شمال شرق قاومي»، فذكّرني بجدّي، وبأبي، وبالكثير من القرويّين القدامى.

في ذلك الحين، تفككت صورة «فوكنر» بعقلي، باعتباره كاتباً عظيماً تماماً، لأشعر بتلاشي المسافة بيني وبينه. وقد انتابني شعور بأننا قلبان متناغمان، وصديقان حميمان من جيلَيْن مختلفَيْن، لا تنطوي علاقتنا على أسرار. فقد تحدّثنا معاً عن الطقس، والمحاصيل الزراعية، والماشية، كما دخّنا التبغ سويّاً، واحتسينا الخمر، وسمعته يوبّخ النقّاد الأميركيين أمامي، ويسخر من «همنغواي».

كما سمح لي بتلمُّس تلك الندبة برأسه، وقال إنها نتيجة عضّة فرس أبقع، لكن بالنسبة إلى هؤلاء الحمقى، لابدّ من القول إنها كانت جرّاء انفجار طائرة ألمانية. ثم انفجر بالضحك منتشياً، وقد علت وجهه ابتسامة مشاكسة وممازحة. أخبرني أن الكاتب يجب أن يكذب بجرأة، ودونما خجل، ليس لإبداع الروايات، فحسب، بل لابتكار

تجارب شخصية، أيضاً.
علَّمني، أيضاً، أن الكاتب يجب أن يتجنَّب المدينة المزدهرة، ويستقرَّ في مسقط رأسه، تماماً، مثلما يجب أن تتجذَّر الشجرة في الأرض. وأنا أرغب، حقّاً، في السير على هداه. لكن، في مسقط رأسي، غالباً ما ينقطع التيّار الكهربي، كما يفتقر إلى وسائل التدفئة في الشتاء، علاوة على مرارة المياه، وطعمها القابض، وأنا أخشى المصاعب؛ لذا، لم أعُد إليها حتى اليوم.

ينبغي أن أعترف، بصراحة، أنني لم أنته من قراءة رواية «فوكنر» «الصخب والعنف» حتى الآن، لكَنني أضع ألبوم صوره، الذي أهداني إيّاه ذلك الأستاذ الجامعي الأميركي، على مكتبي، حيث أتحدَّث إليه، حينما أفقد الثقة بنفسي.

أعترف أنه معلمي، لكنني قلت له، ذات مرّة، دون خجل: «مرحباً، أيُّها العجوز، ثمّة موضع قد تجاوزتك فيه!»، فرأيت ابتسامة ملؤها السخرية، قد فاض بها وجهه، وعقّب قائلاً: «قل لي: ما المواضع التي تفوَّقت عليّ فيها؟».

قلت: «مقاطعة يوكناباتوفا، خاصَّتك، هي مقاطعة من البداية وحتى النهاية، بينما بلدة «شمال شرق قاومي»، خاصَّتي، قد حوَّلتها إلى مدينة حديثة، للغاية، في غضون أقلّ من عشر سنوات. ففي عملي «الصدور المرتفعة والأرداف العريضة» جعلت بلدة «شمال شرق قاومي» تشيِّد العديد من المباني الشاهقة، وتضيف المرافق الترفيهية الحديثة. بالإضافة إلي ذلك، أنا أكثر شجاعة منك، فما كتبته أنت كان قاصراً على حدود ذلك المكان، بينما تجرَّأت أنا على نقل أشياء من جميع أنحاء العالم، وتغيير وجهها، وضمّها إلى بلدة «شمال شرق قاومي»، وكأن هذه الأشياء قد حدثت فيها، بالفعل.

لا توجد جبال في بلدة «شمال شرق قاومي» الحقيقية، لكنني حرَّكت جبلاً إليها، بالقوّة، كما أنها لا تضمّ أرضها صحراء، فخلقت لها، بالقوّة، صحراء، ولا يوجد فيها المستنقعات، فجلبت إليها مستنقعاً، علاوةً على الغابات، والبحيرات، والأسود والنمور... وكلّ تلك الأشياء صنعتها من أجلها. وفي السنوات الأخيرة، توالى ذهاب بعض الطلّاب الأجانب والمترجمين إلى بلدة «شمال شرق قاومي»، لرؤية الأشياء التي وصفتها في رواياتي، وعندما وصلوا إلى هناك، أصيبوا جميعاً بخيبة أمل، فما من شيء هنالك، إلّا سهل مقفر، وعلى السهل بعض القرى عديمة الملامح».

قاطعني «فوكنر»، وقال ببرود: «اللصوص الصاعدون، غالباً ما يكونون أكثر جرأةً من اللصوص القدامى!».

تُعَدّ بلدة «شمال شرق قاومي» جمهوريةٍ أدبيّة من اختراعي، فهي مملكة، أنا مَلكها. وكلما أمسك بالقلم، وأكتب قصّة بلدتي «شمال شرَق قاومي»، أتذوَّق سعادة الإمساك بتلابيب السلطة؛ فعلى هذه الأرض، يمكنني تحريك الجبال، وملء البحور، وتسيير الرياح، واستدعاء المطر، أميت من أودّ موته، وأحيي من أشاء له الحياة. بطبيعة الحال، ثمّة بعض اللصوص الجريئين، أوجدتهم لمعارضتي، بينما يجب عليَّ أن أستسلم لهم.

وبعد ظهور سلسلة رواياتي، التي تدور أحداثها في بلدة شمال «شرق قاومي»، احتجَّ ضدِّي بعض السكّان المحليّين، ووصفوني بالخائن لبلدتي؛ وهو ما دعاني لكتابة عدّة مقالات لشرح الأمر. قلت لهم: بلدة «شمال شرق قاومي» هي مفهوم أدبي، وليست مفهوماً جغرافياً، وهي مفهوم منفتح وغير منغلق، يعتمد على تجربة طفولتي لبناء صرح أدبي خيالي؛ عملت جاهداً لتكون صورة مصغَّرة للصين، واجتهدت لصياغة الفرح والألم هناك، بما يتماشى مع الفرح والألم للبشرية جمعاء، واجتهدت لتؤثر القصص التي أنسج أحداثها في بلدة «شمال شرق قاومي»، في القرّاء من جميع البلدان، وسيكون هذا هدفي مدى الحياة.

والآن، وطئت قدماي، أخيراً، أرض معلِّمي، العمّ «فوكنر»، وأتمنّى أن ألمح طيفه في الشارع الصاخب، فأنا أعرف ملابسه المهترئة تلك، وغليونه الكبير ذاك، كما أعرف، جيّداً، رائحة روث الحصان المختلطة برائحة التبغ، التي تفوح منه، وأنا على دراية بخطواته المترنحة على إثر سكره.

فلو وجدته، سأصرخ خلفه قائلاً: «أيُّها العمّ «فوكنر»، هأنذا!»

عن"راوي القصص"
بـ (المجموعة الكاملة لخطابات مويان.

منزل مو يان.. قرية الذرة الحمراء لن تكون نفسها مرة أخرى !

كتابة: جوناثان بينغ
ترجمة عادل صادق

هناك حديث عن موضوع إعادة بناء هيكل الطين وهو منزل طفولة الروائي الصيني مو يان الذي حاز مؤخرا جائزة نوبل للأدب الذي يقع على ضفة نهر جياو في قرية موبينغ التابعة لمقاطعة شاندونغ الساحلية والذي يدعى بمنزل قرية الذرة الحمراء نسبة إلى روايته الشهيرة " الذرة الرفيعة الحمراء " التي استقى أحداثها من أجواء تلك القرية الصينية البسيطة التي عكس فيها مصاعب المزارع الصيني خلال السنوات الأولى من الحكم الشيوعي ، الرواية تحولت بعدئذ إلى فيلم سينمائي ذاع صيته في العالم وفاز بجائزة الدب الذهبي في مهرجان برلين عام ١٩٨٨ . شهد هذا البيت القديم ولادته وطفولته كما يقول والده قوان يي البالغ من العمر ٩٠ عاما الذي وقف أمامه لأخذ صورة مع فتاة مراهقة جاءت لتقديم التهنئة مع مجموعة كبيرة من السياح فابتسم لها ووقفت بجانبه لتضع يدها على كتفه وهو يرفع يده تحية للجميع ، بعدها راح يتكلم عن البيت ومو يان قائلا : – الجميع يريد أن يفهم كيف كانت حياة يان في هذا البيت وهو صغير . هنا أشار إلى راديو قديم تربع فوق دولاب خشبي صغير داخل إحدى غرف البيت الذي تحول إلى هيكل من الطين الذي كان كثيرا ما يستمع إليه ، في حين دخل حشد صغير آخر من السياح البيت مارين بغرفة متربة أشار إليها قوان أنها شهدت زواجه وما زال سريره يحتوي على فرشته الأولى التي بقيت على حالها مع مرور عقود كثيرة على زواجه . السلطة الصينية المحلية التي تدير موبينغ البالغ تعدادها ٨٠٠ شخص تعاني ضغوطاً شديدة للحفاظ على سحر الريف هناك وهي تسعى في نفس الوقت لتحويل الحديقة الكبيرة التي تحوي المنزل القديم إلى مرفق ثقافي وسياحي للتعريف بواحد من رجالاتها العظام الذي أصبح منجما للذهب بحسب تعبير أحد مسؤولي البلدية لأنه بات ثقافيا ينافس نفوذ المقاطعة اقتصاديا ، وعلى الرغم من أن القرويين هناك توقفوا عن زراعة الذرة الحمراء التي خلدها يان في روايته إلا أن الحكومة المحلية تدفع المزارعين المحليين لزراعة ١٦٠٠ فدان من هذه الحبوب التي كانت عصب اقتصاد المنطقة منذ ثمانينات القرن الماضي بمحاصيلها المربحة ، قوان وهو يطوف بالسياح أرجاء المنزل القديم قال إنه لم يسمع عن خطط تحويل هذا المكان إلى متنزه مرددا : – من المستحيل أن الحكومة ستنفق هنا ! بينما راحت لافتات حمراء تتدلى من جانبي المنازل الخرسانية على طول الطريق الرئيسي إلى موبينغ تحمل التهنئة وتشير باعتزاز إلى " يان المعلم " الذي حاز نوبل بكل فخر ، أحد السياح أخذ حبة بطاطا من كرمة بالقرب من منزل الطفولة وتلذذ بطعمها ما جعل من قوان يفرش ذراعيه في الهواء معلنا أنه قد تناول قطعة صغيرة من طعام معجزة نوبل مو يان الذي كان يعشقه . أعمال مو تظهر قدرة لا يمكن إنكارها بانتقاده الحاد للعديد من الموضوعات التي شملت الفساد ، ومأساة الثورة الثقافية ، والإجهاض القسري في إطار ما يسمى بسياسة الطفل الواحد في الصين، وبعد فوزه بنوبل الأدب مؤخرا أعرب عن تأييده للمنشق ليو شيا بو الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠١٠ والذي يقضي حكما بالسجن لمدة ١١ عاما بتهمة تخريب الأفكار وتشويه الحقائق ، يان صرح في أحد المؤتمرات الصحفية قائلا :

– آمل أن يتمكن من تحقيق حريته في أقرب وقت ممكن. وهو بهذا يعطي شجاعة حقيقية مع ما أعطاها في كتاباته ، يقول عنه إريك أبراهامسون صاحب إحدى دور النشر الخاصة بترجمة الأدب الصيني :

– أعتقد أنه خجول جدا وسلوكه حذر للغاية مع كل خطوة يخطوها . يعود قوان ليقول لزائريه الذين يقلبون عيونهم في منزل الطين وكل ركن فيه :

– مو لا يأتي إلى البيت في كثير من الأحيان وعندما يفعلها نلتقي لنتحدث عما يحدث في وطننا ، وكيف تنمو الطماطم . وعلى الرغم من أنه لم يقرأ ما كتبه مويان ، لكنه يقول:

– إنه فخورٍ بإنجازاته ، نحن جميعا سعداء ، وأنا سعيد جداً جداً .

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
علي كاطع

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

الروائي الصيني مو يان:

محاور مرح وساخر ومتواضع

لطفية الدليمي

شاهدت الكاتب والروائي الصيني (مو يان) الحائز على جائزة نوبل في حوار مطول على فضائية الصين وكانت شخصيته الطريفة أخاذة ومسترخية في الحوار الذي خلا من عبارات التمجيد والتوصيفات التي يبالغ الإعلاميون العرب في إضفائها على ضيوفهم، ورغم خجله وتواضعه الجم فإن شخصية مو يان تتمتع ببساطة محببة وحس ساخر يقظ وتلقائية نفتقدها في الحوارات الثقافية المكرسة للكتاب والمشاهير عندنا.

وهو كمعظم الصينيين حريص على الابتسامة والاسترخاء على نقيض معظم مثقفينا العراقيين والعرب المتجهمين والعابسين ممن يتصنعون الصرامة ليمنحوا هيأتهم امتياز الاختلاف عن البشر في تلقائيتهم وسخريتهم ولا نستثني من ذلك الكتاب والشعراء الشباب في لقاءاتهم المتلفزة حيث العبوس والتجهم والاستخدام المفرط للمصطلحات المستعارة من النقد والفلسفة الغربيين والتي خلا منها حديث مو يان تماما، وقد يقول أحدنا إن مجتمعاتنا الضاغطة وظروفنا المفجعة والحرمان المتواصل من الحياة الإنسانية السوية – لها دورها في تكريس سمة العبوس والتجهم وفقدان الطلاقة في الحديث.

كان مو يان يطلق الفكاهات مثل فتى صغير ويرتدي جاكيتا رياضيا دون ربطة عنق أو بدلة كاملة ويعترف أمام المذيعة بأنه كان خوافا في صباه واستفاد من خبراته الريفية في الأدب ثم تحول إلى شاب مغامر بعد سنوات المجاعة الرهيبة التي عاشها في الريف حيث كانوا يقتاتون على الإعشاب البرية والجذور ويعترف مو يان بوقاحته وعنف جوعه عندما كان يتشاجر مع أخته ويضربها من اجل قطعة لحم صغيرة..

يقول مو يان: "لقد ترك الجوع انطباعا عميقا في روحي وذهني وأثّر في حياتي وعملي"، وعن انطباعات سنوات الجوع وعذاباتها كتب رواية (الذرة الرفيعة الحمراء) أشهر رواياته التي ترجمت إلى لغات عديدة.

يخبرنا مو يان عن عطشه الدائم منذ طفولته لقراءة الكتب (كانت الكتب من الأشياء النادرة في الريف الجائع وليس بوسعنا الحصول عليها، وكنا نحضر طعامنا بطحن حبوب الذرة بالرحى الحجرية اليدوية وصادف أن لأحد أصدقائي كتاب قصة مصورة (كومكس) وكنت أعمل عندهم على الرحى مقابل أن أقرأ القصة فكان يقرأ لي صفحة واحدة مقابل كل دورة لحجر الرحى، أو يتركني اقرأ فيها وأنا أدير الرحى.. وبعدها بدأت أجوب القرى المجاورة لقراءة الكتب عند من يملكونها ثم أعود إلى قريتي مسحورا.

أول قصص مو يان التي أخذت طريقها للنشر هي قصة (ليلة ربيعية ممطرة) بعد أن رفضت صحف كثيرة نشرها وأعادتها له، يضيف مويان (كنت أحب المغامرة وكنت مقلداً الكتابات الآخرين، وفي شبابي وجدت نفسي جنديا وقائدا عسكريا مقيما في منطقة جبلية وعرة وهناك كتبت قصة متخيلة عن جزيرة وأنا الفتى الذي لم يشاهد جزيرة ولا بحرا، كنت كاتبا مزيفا وكاذبا لأنني اعتمدت في كتابتي على القاموس والموسوعات فجاءت القصة بائسة مفتعلة) .

كان مو يان يمر بلحظات صعبة في كتابة الروايات وفي أحيان كثيرة كان يعجز عن متابعة الشخصيات والأحداث فيتركها ويشرع بكتابة رواية أخرى بينما كتب روايته الشهيرة (الحياة والموت) في ثلاثة وأربعين يوما، ثم توقف لعامين عن الكتابة في انتظار الإلهام ويعترف انه يتصرف كإنسان بسيط في الحياة ويشعر بالفرح الغامر عندما ينهي رواية من رواياته ويحتفي بنفسه كما كان يفعل أهله في الريف عند حصاد الذرة ويقول: أليست الرواية حصادا آخرَ لجهد طويل قمنا به؟